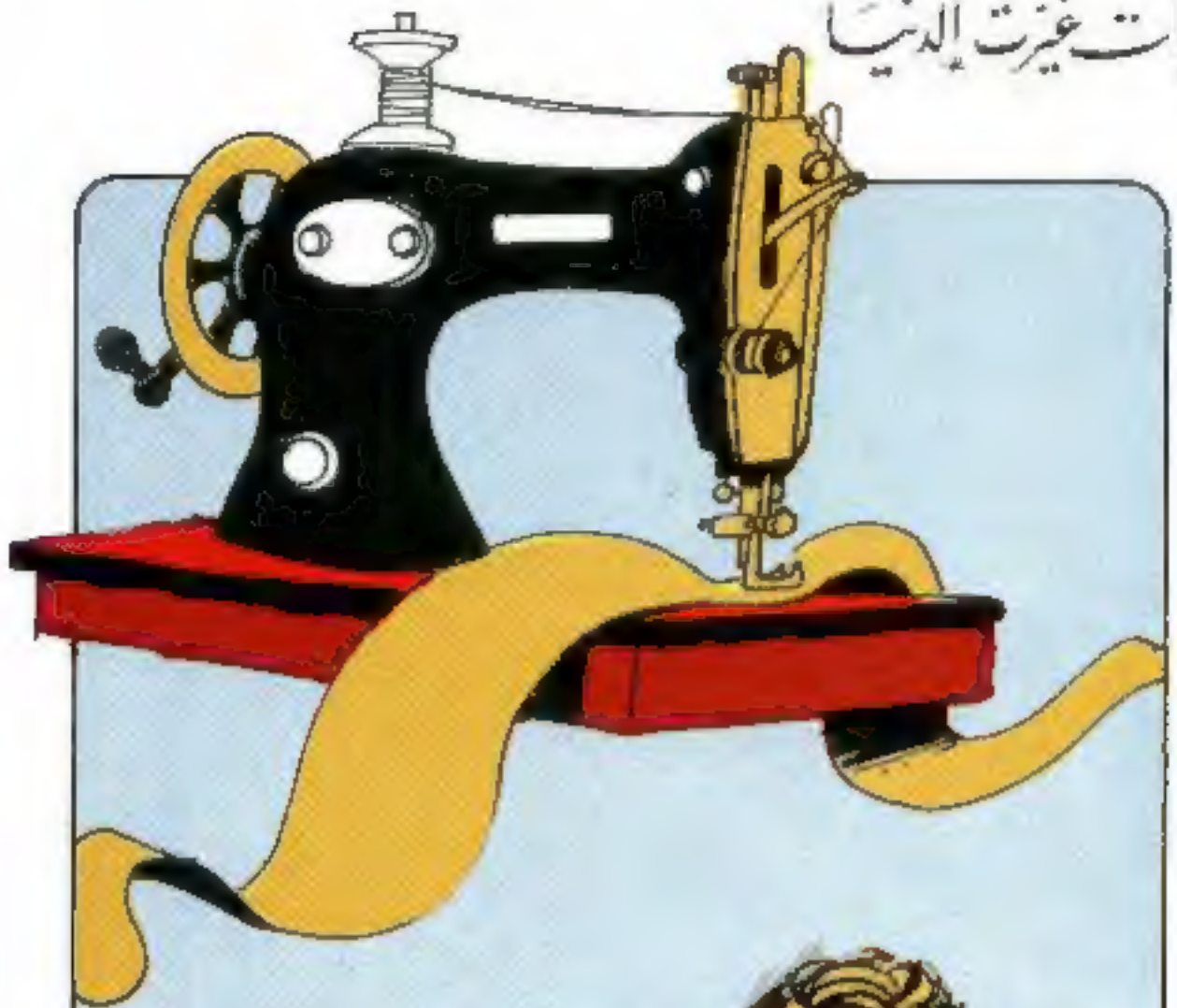


حكايات غيرة الدنيا



الحلم  
المفزع



نسيه

محسن محمد حسن

## الحلم المفزع

من نحو مائة وأربعين سنة ، وفي يوم من أيام سنة ١٨٤٢ م على وجه الدقة ، عاد الشيخ المريض « إلياس هاو » من عمله المرهق في مصانع إصلاح السيارات ، التي يملكها الثرى البخيل « ديفز » . وكان « ديفز » يقسو على الشيخ المريض « إلياس هاو » ويغيره بضغيف بنّيته ، وكثرة أمراضه ، وبأنه يعيش عائلة على المصانع . ولولا أنه يُشفق على أولاده وزوجه ، ويقيهم من التشرّد ، لما تركه لحظة واحدة يرتع في مصالعه ولا يقوم بالعمل الذي يستحق عليه ما يتقاضاه من أجر .

وكان « إلياس هاو » رغم ذلك راضياً سعيداً ، يحاول جهده إرضاء مسر « ديفز » حتى لا يستغنى عنه ويطرده من العمل ، مثلما كان يهدده دائماً .

وكان « هاو » يتقاضى فى نهاية الأسبوع أجرًا  
ضئيلًا جدًا ، لا يتناسب وتهديدات صاحب  
المصانع ، وتسلطه الدائم عليه .

وينصرف « هاو » وهو يعدُّ الدراهم القليلة فى  
يده ، ويحارُّ كيف يكفى أجره الضئيل هذا مطالبه  
ومطالب أسرته كثيرة العدد ، وهو يعود آخر المطاف  
إلى بيته فى المساء يائسًا متعبًا ، خائر القوى .

وذات مساء ، يتما « إلياس هاو » يعبرُ أحد  
شوارع لندن — فقد تعود أن يتريّض قليلًا قبل أن  
يعود إلى زوجته وأولاده حتى لا تظهر عليه علامات  
التعب واليأس — إذ رأى جمهرة من الناس تقف أمام  
محل أحد الخياطين ، فاقترب يستطلع الخبر ، فرأى  
صبي الخياط يصرخ من الألم ، فقد وخرته إبرة  
الحياكة ، واستقرت بين ظفره ولحم إصبعه .

تألم « إلياس هاو » كثيرًا لألم الصبي المسكين ،



فَقَدْ كَانَ لَهُ ابْنٌ فِي سِنِّ ذَلِكَ الصَّبِيِّ ، الَّذِي كَانَ  
يَخِيطُ الْمَلَابِسَ لِيَلْبَسَهَا غَيْرُهُ ، وَيَحْصُلُ مُقَابِلَ جُهِدِهِ  
عَلَى أَجْرِ ضَعِيفٍ ، بَيْنَمَا يَسْتَوْلِي الْخِيَاطُ عَلَى النَّصِيبِ  
الْأَكْبَرَ مِنَ الْأَجْرِ دُونَ تَعَبٍ أَوْ عَنَاءٍ ، وَذَلِكَ الْعَنَى  
الَّذِي يَرْتَدِي الْحُلَّةَ ، وَيَمْشِي بِهَا فِي خِيَلَاءٍ ،  
لَا يَشْعُرُ بِالْجُهِدِ وَالْعَنَاءِ ، وَلَا الْعَرَقِ الَّذِي بَذَلَهُ الصَّبِيُّ  
وَالْعُمَّالُ فِي خِيَاطَةِ الْمَلَابِسِ بِأَنْوَاعِهَا ، فَقَدْ كَانَتْ  
الْوَسِيلَةُ الْوَحِيدَةُ لِلْخِيَاطَةِ — فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ — هِيَ  
إِبْرَةُ الْخِيَاطَةِ الْيَدَوِيَّةُ ، الَّتِي كَانَتْ تَسْتَعْرِقُ وَقْتُهَا  
وَجُهِدًا كَبِيرَيْنِ ، لِإِنْهَاءِ قِطْعَةٍ مَلَابِسٍ صَغِيرَةٍ ، فَلَمْ  
يَكُنْ أَحَدٌ يَعْرِفُ — أَوْ حَتَّى يَتَنَبَّأَ — بِاخْتِرَاعِ آلَةِ  
الْخِيَاطَةِ ، الَّتِي تَعْرِفُونَهَا الْآنَ .

وَرَجَعَ « هَاو » إِلَى بَيْتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْتَرِيحُ مِنْ  
تَعَبِهِ ، وَمِنْ تَأَثِّرِهِ مِمَّا رَأَاهُ فِي عِيُونِهِ ، حَتَّى فَاجَأَتْهُ  
زَوْجَتُهُ بِخَبَرِ مَرَضِ أَحَدِ أَوْلَادِهِ ، وَبِأَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ

بِنِسَاءٍ وَاحِدًا الطَّعَامَ الْغَدَ ، وَقَدَّمَتْ لَهُ تَذْرَأًا يَسِيرًا مِنْ  
الطَّعَامِ . فَتَحَّى الرَّجُلُ الطَّعَامَ رَغَمَ الْحَاجَةِ ، وَانْزَوَى  
فِي رُكْنٍ مِنَ الْحِجْرَةِ الْمُتَوَاضِعَةِ ، يَفْكُرُ فِي مَصِيرِهِ  
وَمَصِيرِ أُسْرَتِهِ الْفَقِيرَةِ .

وَانْزَوَتْ زَوْجَةُ « هَاو » فِي نَاحِيَةِ أُخْرَى مِنْ  
الْحِجْرَةِ ، وَتَنَاوَلَتْ قِطْعَةً مَلَابِسَ ، وَرَاحَتْ تُعْمَلُ فِيهَا  
إِبْرَتَهَا ، لِتَنْتَهِيَ مِنْهَا ثُمَّ تَتَنَاوَلُ غَيْرَهَا ، حَتَّى يَتَسَلَّمَ  
عَمَلَاؤُهَا مِنَ الْجِيرَانِ مَلَابِسَهُمْ فِي مَوْعِدِهَا ، فَقَدْ  
كَانَتْ تَحِيكُ لَهُمُ الْمَلَابِسَ بِأَجْرِ زَهِيدٍ ، لِتُعَاوَنَ  
زَوْجَهَا قَدْرَ طَاقَتِهَا ، حَتَّى يَتِمَّ كُنَّا مِنْ مُوَاصَلَةِ حَيَاتِهِمَا  
وَتَنْشِئَةِ أَوْلَادِهِمَا تَنْشِئَةً صَالِحَةً .

وَحَاوَلَتْ الزَّوْجَةُ الْوَفِيَّةُ أَنْ تُسَلِّيَ « إِلْيَاسَ هَاو »  
عَمَّا يَشْغَلُ بَالَهُ مِنَ الْهُمُومِ ، فَقَالَتْ :  
يَا اللَّهُ يَا عَزِيزِي « هَاو » لَا تُفَكِّرْ كَثِيرًا ، فَيَكْفِي



ما نحن فيه من عَوَز . تعالِ اشغَلْ نفسك بخياطة هذه  
القطعة ، لتُساعدني على الانتهاء منها وقبض أجرها ،  
لنستعين به في علاج مريضنا .. ما رأيك ؟

قال « إلياس هاو » في أسي :

— إنك تُجهدين عينيكَ وأصابعك ، والوقتُ  
متأخر .

قالت الزوجةُ الوفيّة .

— وماذا بيدي أن أفعل غير ذلك ؟ فيجبُ أن  
تُسلمَ هذه الملابس لأصحابها في موعدها ، وإلا  
انقطع الجيران عن إحضار ملابسهم ليخياطتها ،  
فنفقدُ بذلك موردًا هامًا من موارد رزقنا .

تململَ « إلياس هاو » وقال في يأس :

— المال .. عليه اللعنة .. فهو أَسُّ البلاء .. ليسَ  
لنا فحسب ، بل ولغيرنا كذلك .. فقد رأيتُ الليلة وأنا

قادم صبيًا صغيرا .. بل يكاد يكون طفلاً لم يبلغ  
الحلم .. أحسست كأنه أحد أولادي .. وقد احترقت  
الإبرة إصبعة . لماذا خلق مثل هذا الصبي شقيًا مثلنا ؟  
إنه المال فلولا ما اضطررنا أنا وأنت وذلك الصبي ،  
أن نقوم بهذه الأعمال المضنية ، ولذهبنا بصغيرنا  
المريض إلى أبرج الأطباء .. آه ، لو أمكن أن أحصل  
على قدر أكبر من المال !

قالت زوجة هاو في قناعة :

— إحمّد الله يا عزيزي على نعمائه ، فهناك من هم  
أفقر منا ، ولكنهم قانعون راضون .. ابسّم ولا تيأس  
فالحياة كفاح .. ومن يدري ماذا تخفي لك الأيام ؟  
تعال ساعدني ، ولتكن العرز منسقة مرتبة ، حتى  
نستحق ما نأخذ من أجر .

أخذ « هاو » قطعة الملابس من زوجته ، وراح



يُعْرِزُ فِيهَا الْإِبْرَةَ ، وَعَيْنَاهُ تُرَاقِبَانِ زَوْجَتَهُ الْمِسْكِينَةَ ،  
وَهِيَ تَخِيطُ قِطْعَةً أُخْرَى عَلَى ضَوْءِ الْمِصْبَاحِ  
الْخَافِتِ ، فَتَدْخُلُ الْإِبْرَةَ وَتُخْرِجُهَا فِي سُرْعَةٍ وَإِثْقَانٍ ،  
دُونَ خَطَاٍ أَوْ تَقْصِيرٍ ، بَيْنَمَا هُوَ لَمْ يَنْتَهَ مِنْ خِيَاطَةِ شَبْرِ  
وَاحِدٍ فِي قِطْعَةِ الْقُمَاشِ الَّتِي بِيَدِهِ .

وَتَنْهَدُ « هَاو » .. فَهُوَ لَا يُحِبُّ أَنْ يَرَى زَوْجَتَهُ  
الْمِسْكِينَةَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ .. فَهِيَ تُعْنَى طَوْلَ النَّهَارِ  
بِالْبَيْتِ وَالْأَوْلَادِ ، ثُمَّ تَعْمَلُ طَوْلَ اللَّيْلِ مُقَابِلَ أَجْرِ  
زَهِيدٍ ، لَا يَأْتِيهَا بَغْدَاءٌ كَافٍ تُوَاجِهُ بِهِ كُلَّ هَذَا  
التَّعَبِ ، كَيْفَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَزِيدَ أَجْرَهُ بَعِيدًا عَنْ مَصَانِعِ  
السَّيَّارَاتِ اللَّعِينَةِ .. كَيْفَ يُوفِّرُ عَلَى زَوْجَتِهِ كُلَّ هَذَا  
العناء ؟

وَتَذْكُرُ « هَاو » صَبِيَّ الْخِيَاطِ ، وَكَيْفَ كَانَ يَتَأَلَّمُ  
إِذَا غَرِسَتْ الْإِبْرَةَ فِي إِصْبَعِهِ .. تُرَى هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ

يَصْنَعُ إِنْسَانٌ آلَةً تَقُومُ بِهَذَا الْعَمَلِ ، كَمَا سَبَقَ وَاخْتَرَعَ  
إِبْرَةَ الْخِيَاطَةِ ؟

هَلِ الْخِيَاطَةُ بِآلَةٍ مِكَانِيكِيَّةٍ ، أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ ؟  
لَقَدْ حَاوَلَ الْكَثِيرُونَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَصْنَعُوا آلَةً لِحَيَاكَةِ  
الْمَلَابِسِ ، وَلَكِنَّهُمْ فَشَلُّوا . وَلَكِنْ لَا يَأْسَ مَعَ الْحَيَاةِ ،  
كَمَا تَقُولُ زَوْجَتُهُ الْوَفِيَّةُ .. تُرَى هَلِ يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ  
بَسِيطٌ مِثْلَهُ ، ذُو حَظٍّ ضئِيلٍ مِنَ الثَّقَافَةِ ، أَنْ يَخْتَرِعَ  
مِثْلَ تِلْكَ الْآلَةِ ، الَّتِي تُوفِّرُ عَلَى زَوْجَتِهِ الْمِسْكِينَةِ عَنَاءَ  
الْعَمَلِ ؟ . آه لَوْ تَحَقَّقَ لَهُ هَذَا ، إِذَنْ لَرَبِحَ مَالًا مَوْفُورًا ،  
وَلَهَرَعَ إِلَيْهِ الْكَثِيرُونَ يَلْتَمِسُونَ مِنْهُ شِرَاءَ حَقِّ الْخِتَرِاعِ  
تِلْكَ الْآلَةِ الْغَرِيبَةِ . وَلَكِنْ مَتَى يَتَحَقَّقُ هَذَا ، وَكَيْفَ  
السَّبِيلُ إِلَيْهِ ؟

اسْتَغْرَقَ « هَاو » فِي التَّفَكِيرِ ، وَعَيْنَاهُ تَرَاقِبَانِ  
أَصَابِعَ زَوْجَتِهِ وَهِيَ تُحَرِّكُ الْإِبْرَةَ فِي الْقُمَاشِ دُونَ

تَوَقَّف .

وَسَأَلَ نَفْسَهُ : لِمَ لَا ؟ فَالْعَقْلُ لَا يَعْجِزُ عَنْ صُنْعِ شَيْءٍ إِذَا فَكَّرَ فِيهِ بِجَدِّيةٍ ، وَكَانَ لَدَى صَاحِبِهِ الْإِرَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِنَمِيذِهِ .

وَرَأَى « هَاوٍ » يُفَكِّرُ فِي تِلْكَ الْآلَةِ الَّتِي سَتُوفِّرُ عَلَى زَوْجَتِهِ جُهْدَهَا ، وَجُهِودَ غَيْرِهَا مِنْ مَنْ يَخِيطُونَ الْمَلَابِسَ بِأَيْدِيهِمْ .

هَا هِيَ زَوْجَتُهُ تَدْفَعُ الْإِبْرَةَ بِيَدِهَا لِتَدْخُلَ فِي الْقُمَاشِ ، سَاحِجَةً الْخِيطَ مَعَهَا ، ثُمَّ تُعِيدُ دَفْعَهَا مِنْ أَسْفَلِ الْقُمَاشِ .

فَكَيْفَ يُمَكِّنُ الْآلَةُ أَنْ تَدْفَعَ الْإِبْرَةَ هَكَذَا دَاخِلَةً خَارِجَةً فِي ثَنَايَا الْقُمَاشِ ؟ لَوْ كَانَ فِي كُلِّ مِنْ طَرَفَيْ الْإِبْرَةِ سِنَّ حَادٍ ، وَكَانَ فِي وَسَطِهَا ثَقَبٌ يُضَمُّ فِيهِ الْخِيطُ ، لَأُمَكَّنَ رَفْعَ الْإِبْرَةِ وَإِنزَالَهَا فِي الْقُمَاشِ ،

وَجَذَبُ الْقُمَاشِ مِنْ تَحْتِهَا بِالْيَدِ .

وَهَكَذَا شَغَلَ الْأَمْرُ ذِهْنَ « إِيَّاس هَاو » حَتَّى نَامَ عَلَى الْأَرِيكَةِ الَّتِي كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهَا ، وَقِطْعَةُ الْقُمَاشِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَتَبَسَّمتُ زَوْجَتُهُ ، وَقَامَتْ لِتَوَّهَا فَسَخَبَتْ قِطْعَةَ الْقُمَاشِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَدَثَّرَتْهُ بِغِطَاءٍ ، ثُمَّ عَادَتْ إِلَى مَكَانِهَا تَسْتَأْنِفُ الْخِيَاطَةَ دُونَ تَوَقُّفٍ .

\*\*\*

شَغَلَ أَمْرُ الْخِيَاطَةِ الْآلِيَّةَ بَالًا « هَاو » حَتَّى إِنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً مُورَّقَةً يُفَكِّرُ فِي الْأَمْرِ . وَعِنْدَمَا ذَهَبَ إِلَى الْمَصْنَعِ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ كَانَ شَارِدَ الذَّهْنِ ، لَا يُفَكِّرُ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَصَرَخَ فِيهِ أَحَدُ زَمَلَانِهِ :

— مَاذَا بِكَ يَا « إِيَّاس هَاو » أَجُنَيْتَ يَا رَجُلٌ ؟  
لَقَدْ كِدْتَ تَتَسَبَّبُ فِي قَطْعِ يَدِكَ ، بِسَبَبِ شُرُودِ ذَهْنِكَ .



وَنَتَبَهَ « إِيَّاس هَاو » فَوَحَّدَ أَنَّ زَمِيلَهُ قَدْ انْقَذَ يَدَهُ فِي  
آخِرِ لَحْظَةٍ ، قَبْلَ أَنْ يَهْوِيَ عَلَيْهَا الْحَنْزِيرُ الضَّخْمُ .  
وَمَا كَادَ « هَاو » يَسْتَرِدُّ أَنْفَاسَهُ ، حَتَّى عَادَ لِشُرُودِهِ  
مِنْ جَدِيدٍ ، وَلَكِنَّهُ أَفَاقَ عَلَى صَوْتِ آخَرَ ، كَانَ  
صَوْتُ الْبَخِيلِ « دِيفِز » يَصْرُخُ فِيهِ :

— أَتُرِيدُ أَنْ تَأْتِيَنِي بِمُصِيبَةٍ يَا « إِيَّاس هَاو » .. هَيَّا  
اتْرِكِ الْعَمَلَ مِنْ فُورِكَ ، وَلَا تُعِدْ إِلَّا وَأَنْتِ صَاحِبِي  
الدُّهْنِ ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرَكِّزَ انْتِبَاهَكَ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْكَ ،  
فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ أَتَحَمَّلَ مَسْئُولِيَّةَ إِهْمَالِكَ .

وَعِندَمَا عَادَ « إِيَّاس هَاو » إِلَى الْبَيْتِ ، وَجَدَ أَنَّ  
أَنَّهُ الْآخَرَ قَدْ انْتَقَلَتْ إِلَيْهِ عِدْوَى الْمَرَضِ ، وَأَنَّهُ يَحْتَاجُ  
إِلَى الطَّبِيبِ ، وَإِلَى الْأَدْوِيَةِ مِنْ جَدِيدٍ ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ  
لَمْ يَشْغُلْ بَالَهُ ، قَدَّرَ مَا شَعَلَهُ أَمْرٌ آخَرَ ، رَاحَ يُحَدِّثُ  
بِهِ نَفْسَهُ :



— أَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُصْنَعَ آلَةٌ ، تَغْرِسُ الْإِبْرَةَ فِي الْقَمَاشِ وَتَنْزِعُهَا عَلَى التَّوَالِي ، فَتَعْمَلُ الْعُرْزَ وَتَخِيْطُ الْمَلَابِيسَ ، بَدَلًا مِنَ الْجَهْدِ الْيَدَوِيِّ الْمُصْنَعِي ؟ .. لَوْ تَحَقَّقَ ذَلِكَ فَأَيُّ نِعْمَةٍ تَكُونُ !

اقْتَرَبَتْ مِنْهُ زَوْجَتُهُ الْخُنُودُ ، وَقَالَتْ :  
— أَتُكَلِّمُنِي نَفْسَكَ يَا إِيَّاسَ ؟ مَاذَا يَكُ يَا عَزِيزِي ؟  
فَأَنَّى أَرَاكَ مَشْغُولًا بِالسَّالِ مُهِمًّا مُنْذُ أُسَابِيعَ ؟  
قَالَ هَاوُ :

— هَلْ تَذْكُرِينَ الطِّفْلَ صَبِيَّ الْحَيَّاطِ ، الَّذِي حَدَّثْتُكَ عَنْهُ يَدُكَ اللَّيْلَةَ ؟  
قَالَتِ الْمَرْأَةُ مُنْذَهَشَةً :

— أَمَّا زِلْتُ تُفَكِّرُ فِيهِ حَتَّى الْآنَ ؟ هَلْ حَدَّثَ لَهُ شَيْءٌ ؟ ، مَاذَا جَرَى لَهُ ؟  
أُطْلِعَ « إِيَّاسَ هَاوُ » زَوْجَتَهُ عَلَى أَفْكَارِهِ وَأَحْلَامِهِ

الَّتِي تُرَاوِدُهُ ، فَقَالَتْ لَهُ ضَاحِكَةً :

— وَلِمَ لَا تُحَقِّقُ أَفْكَارَكَ بِنَفْسِكَ ؟ فَلَا شَيْءَ  
يَعْتَزُّ الْإِنْسَانُ عَنْ تَحْقِيقِهِ . إِذْ وَهَبَ لَهُ اللَّهُ نِعْمَةَ  
الْعَقْلِ الَّتِي يُفَكِّرُ بِهِ ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَعْلَمْ .

فَسَأَلَهَا « إِيَّاس » مُتَعَجِّبًا :

— وَهَلْ تُطْنِئُ أَنِّي أُسْتَطِيعُ — أَنَا « إِيَّاس هَاو »  
الْعَامِلُ الْبَسِيطُ الْفَقِيرُ — أَنْ أَصْنَعَ تِلْكَ الْآلَةَ ؟ .. إِنَّهُ  
مُجَرَّدُ حُلْمٍ يَمَلَأُ كَيْيَابِي .

صَنِحَكْتَ الرُّوحَةُ الْوَفِيَّةُ ، وَقَدِيتَ . أَنْتَ ذَكِيٌّ يَا  
« هَاو » ، فَهَيَّا تَقَدَّمْ وَحَقِّقْ أَفْكَارَكَ ، وَأَنَا وَرَاءَكَ .  
وَكُنْتُ بِدَايَةِ الْإِزْطِلَاقَةِ أَنْ عَكَفَ « إِيَّاس هَاو »  
عَلَى تَصْمِيمِ بَعْضِ الرُّسُومِ الْمُنْدِئِيَّةِ عَنْ فِكْرَةِ آلَةِ  
الْخِيَّاطَةِ .

وَتَجَعَ الرَّحُلُ فِي تَنْفِيدِ أَفْكَارِهِ عَلَى الْوَرَقِ ، وَنَدَا



يشكر في تنفيذها في الواقع ، مستعجلاً بالعديد والآلات  
الموحدّة في مصنع السيّارات التي يعمل بها ، ولكن  
الأمر لم يكن سهلاً ، فهو يحتاج إلى تقود بصرف  
عنى مشروعه الحديد ، وبالطبع لم تكن إرادات  
زوجه من الحياة بيدها ، تكفى لشراء ما يحتاج إليه  
مشروعه .

واصطّر « هاو » إلى الاستدابة من أحد الأثرياء ،  
بضمّان مشروعه الحديد ، إلى أن جاء اليوم الذي  
استطاع فيه أن يصنع نموذجاً مصغراً لأول آلة خياطة  
في التاريخ ، وصاح الرجل فرحاً :

— لقد نجحت أخيراً ، أيّها الزوجة الغالية ، في  
صنع أول آلة خياطة ، ولم تنق إلا خطوة واحدة ، هي  
تركيب الإبرة في هذه الآلة ، لتغرسها في القماش ،  
وتحيط لك العرّة الآلة السريعة ، التي ستريحك من

عَنَاءِ اسْتِعْمَالِ الْإِبْرَةِ يَبْذِيكَ الرَّقِيقَتَيْنِ .

تَعَجَّبَتْ زَوْجَةُ « هَاو » وَسَأَلَتْهُ :

— أَيْمَكُنْ حَقًّا أَنْ تَحُلَّ هَذِهِ الْآلَةُ الْمَصْنُوعَةُ مِنْ

الْخَشَبِ وَالْأَسْلَافِ وَالْثُرُوسِ الْغَرِيبَةِ ، مَحَلِّي فِي خِيَاطَةِ

الْحَلَايِيسِ ؟

قَالَ « هَاو » وَهُوَ يَضْحَكُ :

— سَتَكُونِينَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ ، أَوَّلَ مَنْ يَسْتَعْمِلُ آلَةَ

الْخِيَاطَةِ فِي الْعَالَمِ .. وَلَكِنْ مَا يَشْغَلُنِي الْآنَ هُوَ أَمْرُ

الْإِبْرَةِ .. فَأَيْنَ أَضَعُهَا يَا عَزِيزَتِي ؟ فَكَّرِي مَعِي .

سَأَلَتِ الْمَرْأَةُ فِي دَهْشَةٍ :

— أَيُّ إِبْرَةٍ تَعْنِي ؟

أَجَابَ « هَاو » وَهُوَ يَضْحَكُ :

— الْإِبْرَةُ الَّتِي تَخِيطِينَ بِهَا ، فَسَتَلْصِقُ فِيهَا

الْخِيطَ ، وَتَتَوَلَّى الْآلَةُ غَرَسَهُ فِي الْقُمَاشِ .

وكان الأمر غريباً على زوجة « هاو » ، فعادت  
تسأل من جديد :

— ولكن من الذى سيُخرج الخيط من الناحية  
الأخرى من القماش ، وهل تحرك الآلة القماش أمامها  
لتصنع الغرزة بعد الغرزة ؟

عرض « إلياس هاو » أسفل الماكينة على زوجته ،  
وأشار إلى المكوك قائلاً :

— هل ترين هذه البكرة الصغيرة ، والخيط  
الملتفة عليها ؟

نظرت الزوجة إلى حيث أشار « هاو » ثم عادت  
تسأله :

— تعنى أنك ستصنع بكرة خيط بأعلى الآلة وبكرة  
أخرى بأسفليها ، أى سيكون هناك خيطان .. كيف  
هذا ؟

ضجحك « إلياس هاو » وقال :

— سَيَنْزِلُ حَيْطُ الْبَكْرَةِ الْعُلْيَا بَوَسَاطَةِ الْإِبْرَةِ ،  
فَيَلْتَقِطُ الْخَيْطَ الثَّانِي مِنَ الْبَكْرَةِ السُّفْلَى فِي الْآلَةِ ،  
وَتُسَمَّى « الْمَكْكُوك » ، وَهَكَذَا تُصْنَعُ الْعُرْزَةُ .

صَفَّقَتِ الْمَرَأَةُ بِيَدَيْهَا وَقَالَتْ :

— مَعْنَى هَذَا يَا عَزِيزِي « هاو » أَنَّ الْحَيَاطَةَ تَكُونُ  
مَتِينَةً حَذًّا ، حَيْثُ تَكُونُ فِيهَا عُرْزَةٌ مِنْ أَعْلَى وَأُخْرَى  
مِنْ أَسْفَلِ .

قال « هاو » وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى مَلَابِسِ الْجِيرَانِ  
الْمُكَدَّسَةِ فَوْقَ الضُّدِّ :

— وَسَرِيعَةٌ كَذَلِكَ فَوْقَ أَنَّهَا مَتِينَةٌ .. وَالْآنَ نَاوِلِينِي  
إِبْرَةً مِنْ إِبْرِكَ لِأَنْتَهَا فِي الْآلَةِ ، لَتَرَى النَّيْجَةَ مَعِي .  
ولكنَّ « إلياس هاو » فَشِلَ فِي تَنْفِيدِ مَشْرُوعِهِ ،  
فَعَبَدَمَا وَضَعَ الْإِبْرَةَ فِي الْآلَةِ ، وَبَدَأَ يُحَرِّكُهَا لِيَصْنَعَ



أَوَّلُ غُرْرَةِ آيَةٍ فِي التَّارِيخِ ، كَانَ الْحَيْطُ يَعُودُ مَعَ الْإِثْرَةِ  
فَيَدْخُلُ فِي الْقُمَاشِ وَيَخْرُجُ ، دُونَ أَنْ يَنْتَقِطَ خَيْطُ  
الْمَكُوكِ كَمَا كَانَ يَتَوَقَّعُ « إِيَّاس هَاو » .

وَحَزَنَ الرَّجُلُ حُزْنًا شَدِيدًا لِمُشَلِّ فِكْرَتِهِ ، وَبَلَغَ بِهِ  
الْحُزْنُ مُنْتَهَاهَا ، عِنْدَمَا تَذَكَّرَ أَنَّهُ انْقَطَعَ عَنِ الْعَمَلِ فِي  
مَصَانِعِ السِّيَّارَاتِ ، لِيَتَفَرَّغَ لِإِنْهَاءِ مَشْرُوعِهِ الْفَاشِلِ ،  
فَقَدْ كَانَ يُؤْمَلُ أَنْ يُسَدَّدَ كُلُّ دَيْوَبِهِ مِنْ وَرَاءِ فِكْرَتِهِ ،  
فَاضْطُرَّ أَنْ يَبِيعَ بَعْضَ أَثَاثِ بَيْتِهِ ، لِيُسَدَّدَ بَعْضَ دَيْوَبِهِ  
لِلثَّرَى ، الَّذِي عَلِمَ بِفَشْلِهِ .

وَعَادَ « هَاو » إِلَى مَنْزِلِهِ يَحُرُّ أَدْيَالَ الْخِيَةِ ، وَوَقَفَ  
لِحَطَّابٍ يَأْتِسُهُ أَمَامَ مُوَدَّجِهِ الْأَوَّلِ لِآلَةِ الْحِيَاظَةِ ،  
وَأَمْسَكَ بِالنَّمُودَجِ وَهَمَّ أَنْ يُلْقَى بِهِ بَعِيدًا فِي إِبَّانِ  
ثَوْرَتِهِ ، وَلَكِنَّ الزَّوْحَةَ الْوَفِيَّةَ أَوْقَفَتْهُ وَقَالَتْ فِي حَالِ :  
— ائْتَوَّقْ عَنِ الْمُضِيِّ فِي تَحْقِيقِ مَا تُرِيدُ ؟



قال في أسي :

— وهل أملك غير هذا ؟ ألا ترين أنني لم أسبب  
لك إلا المتاعب ؟ فقد فقدت وظيفتي ، وبعثت أثاث  
بيتك ، بدلًا من أن أمحك الراحة التي كنت أطبها  
لك .

اتسمت المرأة وأحابت في إصرار :

— وهل درست يا عزيزي محاولات من سبقوك في  
هذا المجال ؟ لو فعلت يا « هاو » لعرفت أين يقع  
العيث في فكرتك .. كما أنك لم تدرس الهندسة  
الآلية ، فعليك أن تبعد الكرة من حديد ، وستوفق إن  
شاء الله .

فتعجب « هاو » وسأل :

— ومن أين تعيش يا عزيزتي ؟

أحابت الزوجة المخلصنة ، في عناد وإصرار :

— سَأَزِيدُ مِنْ طَاقَتِي .. وَسَأَعَوِّضُكَ عَنْ بَدَنِ  
الآلَةِ وَكَأَنَّهَا مَوْحُودَةٌ . ثُمَّ إِنَّهُ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَبِيعَ مَا  
تَشَاءُ .. وَإِنَّمَا حَقَّقَ مَا نَدَّاتِ .. وَشَعُورِي  
لَا يَكْدِشُنِي بِأَنْتَ سَتَحُحُ يَا عَرِيزِي « هَاو » .

وَعَمِلَ « هَاو » بِنَصِيحَةِ زَوْجَتِهِ الْوَفِيَّةِ ، وَبَدَأَ  
يَدْرُسُ كُلَّ مُحَاوَلَاتٍ مِنْ سَبْقُوهُ ، وَأَسْبَابَ فَشِيهِمْ ،  
وَمَنْ حَاوَلُوا قَبْلَهُ تَحْقِيقَ حَلِمِ آلَةِ الْحَيَاةِ .

وَعَبَّرَ « هَاو » وَضَعَ الْإِهْرَةَ فِي الْآلَةِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ،  
وَصَنَعَ عِدَّةَ نَمَاجٍ مَخْتِفَةٍ الْأَشْكَالِ لِلآلَةِ ، وَلَكِنَّهُ  
فَشِلَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ فِي أَنْ يَحْصُلَ عَلَى عُرْزَةٍ وَاحِدَةٍ ، أَوْ  
أَنْ يَحْعَلَ الْخَيْطَ الْأَوَّلَ يَلْتَقِطُ الْخَيْطَ الثَّانِي مِنْ  
الْمَكْوَكِ .. فَأَخَاطَتِ بِالرَّجُلِ الدُّيُونُ مِنْ كُلِّ حَانِبٍ ،  
وَتَمَدَّكَ الْيَأْسُ الشَّدِيدُ ، خَاصَّةً وَقَدْ ذَاهَمَ الْمَرَضُ  
الزَّوْجَةَ الْوَفِيَّةَ .



إني أن كان يوم الأحد من سنة ١٨٤٤ م ، أي  
بعد عامين كامبين من مُحاولات « هاو » اليائسة إذ  
نَامَ الرَّجُلُ عَلَى مَقْعِدِهِ مَحْرُومًا مَكْدُودًا ، نَعْدَ فِكْرٍ  
وَعَمَلٍ صَوْبِلِي دُونَ حَدَوِي ، فَرَأَى فِيمَا يَرَى النَّائِمُ  
حُصًا عَرِيًّا مُرْعِيًّا ..

رَأَى الْعُرَاةَ الْحُقَاةَ مِنْ أَكْلِي لُحُومِ الشَّيْثِ ،  
يُحْيِضُونَ بِهِ مِنْ كُلِّ حَاسِبٍ ، وَقَدْ وَضَعُوا الْقَدَرَ عَلَى  
النَّارِ ، يَنْتَطِرُونَ التَّصْحِيَةَ بِهِ ، يَسْمَارِعِيئُهُمْ يَصِيحُ فِي  
صَوْتٍ مُخْجَلٍ رَهِيْبٍ :

— تُرِيدُ آلَةَ الْحَيَاةِ يَا « هَاو » تُرِيدُكَ أَنْ تُكْسُونَ  
بَشِيَابَ مَنْ حَيَّاطَتَهَا ، وَإِلَّا الْقَيْسَاكَ حَيًّا فِي هَذِهِ الْقَدْرِ .  
وَصَرَخَ « هَاو » مَفْرُوعًا ، وَلَكِنْ الْمُتَوَحِّشِينَ اقْتَرَبُوا  
مِنْهُ بِجَرَائِهِمُ الْبِدَائِيَّةِ ، وَهُمْ يَقْتَادُونَهُ بِحُورِ زَعِيمِهِمْ :  
— اَتْرَكُونِي سَاعِرِفُ سَتَّ فَشَلِي .. فَقَطَّ

أَعْطُونِي فُرْصَةً ..

استمرَّ المتوَحِّشُونَ يَدْفَعُونَ « هَاو » بِحِرَابِهِمْ ،  
ولاحَت منه التَّمَانَةُ إِلَى حَرِيَةِ أَحَدِهِمْ فَوَحَدَهَا غَرِيَةً  
المنظر ، فصاح :

— قُمُوا وَاتَّعِدُوا عَنِّي .. فَقَدْ وَحَدْتُ الْحَلَ ..  
وَجَدْتُ الْحَلَ ..

صاح زَعِيمُ المتوَحِّشِينَ :  
— أَيْنَ هُوَ ؟ هَيَّا أُعْطِنَا آلَةَ الْخِيَاطَةِ فُورًا .

صاح « هَاو » :  
— الْحَلُّ هُنَا .. فِي حَرِيَةِ زَمِيلِكُمْ هَذَا .. إِنَّهَا  
مُدَيَّةٌ مِثْلُ إِهْرَةِ الْخِيَاطَةِ ، وَفِي نِهَائِهَا ثَقْتُ كَثَقِبِ  
الإبرة .. هَذَا هُوَ الْحَلُّ .

صاح الزعيم :  
— مَاذَا تَقُولُ يَا مَحُونُ ؟ هَلْ تَخِيْطُ ثِيَابَنَا بِحَرِيَةِ

هذا المُحارب ؟

أحاب « هاو » صاحكا :

— سأضعُ إبرتي على شكل حربة هذا  
المُحارب .. وسيكون ثقبُ إبرة قرب نهايتها ،  
وليس في بدايتها كما كنتُ أفعلُ دائما .. يا غاشي .  
هكذا يتقطُّ الحيط الآخر من المكوك ، ويصعُ  
الغُرزة .

وصحا « هاو » من نومه وهو يصيح :

— وحدثُ الإبرة .. وحدثُ الإبرة .

وأسرع « هاو » يهرؤ نحو نموذج آلة الحياطة

ويصيح :

— إيه أحلى كابوس رأيتُه في حياتي .. أحلى

كابوس رآه أيُّ إنسان . ستكونُ إبرة الحياطة مثل  
حربة ذلك المُحارب سها مُدبَّب ، ولثقبُ قرب

آخِرَهَا .

وَنَجَحَ « إِيَّاس هَاو » بِإِبْرَتِهِ الْجَدِيدَةِ ، فِي التَّقَاطِ  
الْخِيطِ مِنَ الْمَكُوكِ ، وَبَذَلِكَ صَنَعَ أَوَّلَ غُرْزَةِ خِيَاطَةٍ  
آلِيَةٍ فِي التَّارِيخِ .

وَأَسْرَعَ الرَّجُلُ بِالسَّفَرِ إِلَى شِيكَاغُو ، تَارِكًا زَوْجَتَهُ  
الْمَرِيضَةَ ، لِيَعْرِضَ اخْتِرَاعَهُ الْجَدِيدَ عَلَى إِحْدَى  
الشَّرَكَاتِ ، الَّتِي دَعَتْهُ لِهَذَا الْعَرْضِ .

وَنَجَحَتْ فِكْرَةُ الآلَةِ ، وَلَكِنْ « هَاو » هُوَ جَم  
هُجُومًا شَرِيسًا مِنْ جَمِيعِ الْخَيَّاطِينَ ، الَّذِينَ ظَنُّوا فِي  
مَبْدِئِ الْأَمْرِ أَنَّ الآلَةَ سَتَقْضِي عَلَى مَصْدَرِ رِزْقِهِمْ ،  
وَرَاخُوا يُقَاطِعُونَ الْاِخْتِرَاعَ الْجَدِيدَ ، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ سَوْقًا  
رَائِجَةً .

وَحَزِنَ « هَاو » لِكَسَادِ سِلْعَتِهِ ، بَعْدَ نَجَاحِ  
اِخْتِرَاعِهِ ، لِيَجِدَ زَوْجَتَهُ ، أَوَّلَ مَنْ غَرَسَ الْبَذْرَةَ ، وَالَّتِي

أَرَادَ أَنْ تَجْنِيَ ثِمَارَهَا قَدْ مَاتَتْ وَجِيذَةٌ ، بَعْدَ أَنْ  
نَهَشَهَا الْمَرَضُ الشَّدِيدُ ، دُونَ أَنْ تَلْقَى أَيَّ عِلَاجٍ ، وَلَمْ  
يَكُنْ مَعَ « هَاو » فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قِرْشٌ وَاحِدٌ ، يُشِيعُ بِهِ  
جِنَازَةَ زَوْجَتِهِ .

وَبَعْدَ جِهَادٍ مَرِيرٍ اسْتَمَرَ عَشْرَ سِنَوَاتٍ كَامِلَةٍ ،  
أَمَكَنَّ « إِيَّاسُ هَاو » سَنَةَ ١٨٥٤ م . أَنْ يُسَجَّلَ حُقُوقُ  
اخْتِرَاعِهِ الْجَدِيدِ ، بَعْدَ أَنْ انْتَشَرَ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

وَالْيَوْمَ نَرَى آلَاتِ الْخِيَاطَةِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا فِي  
كُلِّ مَكَانٍ ، نَخِيطُ بِهَا مَلَابِسَنَا ، وَنَصْنَعُ لَنَا الْغُرَزَةَ تَلَوُ  
الْغُرَزَةَ ، وَمِنْهَا مَا يُطَرِّزُ لَنَا الْمَلَابِسَ بِنُقُوشٍ جَمِيلَةٍ ،  
وَمِنْهَا مَا يُثَبِّتُ الْأَزْوَارَ ، وَمِنْهَا مَا يَفْتَحُ الْعَرَاوِي فِي  
مَخْتَلِفِ الْمَلَابِسِ .

وَمَعَ ذَلِكَ التَّقَدُّمُ ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَلْبِسُ رِدَاءً جَدِيدًا  
أَوْ قَدِيمًا ، يَجِبُ أَلَّا نَنْسَى أَنَّ الْفَضْلَ كُلَّ الْفَضْلِ كَانَ



لِطِفْلِ صَغِيرٍ غُرِسَتْ الْإِبْرَةُ فِي إصْبَعِهِ ، وَلِزَوْجَةٍ وَفِيَّ  
دَفَعَتْ زَوْجَهَا ، بِتَشْجِيعِهَا الْمُسْتَمِرِّ ، وَإِخْلَاصِهَا  
لِلْمُضِيِّ قَدَمًا فِي الْإِنْتِهَاءِ مِنْ اخْتِرَاعِهِ ، اخْتِرَاعِهِ الَّذِي  
غَيَّرَ الدُّنْيَا .